

التمردات القبلية خلال الحكم العثماني الاول لليمن (تمرد الشيخ علي الشرجبي بمنطقة الحجرية في تعز عام ١٠٠٦هـ/١٥٩٧م وفي الاعوام ١٠٢٧ - ١٠٣٠هـ / ١٦١٨ - ١٦٢١م) (نموذجاً)

د/عبدالحكيم عبدالمجيد المهجري*

- توصيف البحث:

تقع اليمن في المركز الغربي لجنوب الجزيرة العربية يحدها المملكة العربية السعودية من الشمال وسلطنة عمان من الشرق والبحر الأحمر من الغرب والبحر العربي من الجنوب. وتبلغ مساحتها ٥٢٧.٩٧٠ كم^٢، وتقع بين خطي عرض ١٢/١٨ شمالاً، ١٢/٤٤ شرقاً، وطول سواحلها ١٩٠٦ كم^(١).

ويتضح من هذا ان اليمن ذو موقع استراتيجي هام، اذ يقع عند المدخل الجنوبي للبحر الاحمر، ليقابل القطب الثاني لهذا البحر المتمثل في قناة السويس^(٢). ولليمن تاريخ طويل وقدم حيث عُرف في التاريخ القديم باسم بلاد العرب السعيدة؛ لما تميزت به من حضارة وازدهار في ذلك العصر. ومع بداية العصور الحديثة انقسم سكان اليمن من حيث المذاهب الدينية الإسلامية إلى قسمين: أتباع المذهب الزيدي وهو اقرب المذاهب الشيعية إلى السنة والذين سكنوا جبال اليمن، والآخر: أتباع المذهب الشافعي - الذين عرفوا بالشافعية - السني الذين سكنوا السهول الساحلية^(٣).

ويمثل المذهب الزيدي طليعة تجمع في عمق التاريخ الإسلامي، يدعو إلى الانفتاح الفكري والإبداع الإنساني ويجعل باب الاجتهاد مفتوحاً. وهو بذلك -وعلى مر العصور- قد أدى إلى ظهور العديد من الأئمة المجتهدين الذين كان لهم دور مهم في إثراء المذهب بمؤلفاتهم وآرائهم. وبالإضافة إلى ذلك فقد فتح المذهب باب الاختيار من المذاهب الأخرى وخاصة السنية، وهو الأمر الذي أدى إلى نمائه باستمرار، وعلى تقريبه إلى تلك المذاهب^(٤)، ولا شك أن "الزيدية هم أعظم الشيعة اعتدالاً وأكثرهم التصاقاً بالسنة"^{(٥) (٦)}.

وقد أدى ظهور المذهب الزيدي في المناطق الشمالية لليمن، إلى ازدياد هجرة أسرة الأشراف إلى هذه الجهات^(٧)، والاستقرار فيها، وبالتالي أفضت -تلك الهجرة- إلى إغناء المذهب بعدد من علماء الزيدية، ممن تنطبق عليهم شروط الإمامة الزيدية، والتي لعبت دوراً هاماً في تاريخ اليمن الحديث، منذ

أوائل القرن السادس عشر الميلادي^(٨).

وكانت أهم وأقوى الزعامات اليمنية التي سيطرت على أقاليم اليمن الداخلية، وهي بذلك تعد القوة السياسية والعسكرية التي واجهت العثمانيين في اليمن منذ فتح سليمان باشا الخادم للسواحل اليمنية سنة ١٥٤٤م/١٥٣٨م. والتي كان لها زمام المبادرة في قيادة الثورات الوطنية -حينذاك- ضد الوجود العثماني. الأمر الذي أدى في النهاية إلى خروج العثمانيين من اليمن عام ١٠٤٤هـ/١٦٣٥م^(٩).

وباستقراء مجريات الأحداث لتلك الفترة، يتضح أن العلاقة بين هاتين القوتين -الريدية والعثمانية- قد اتخذت طابع الحرب أو السلم، إلا أنه غلب عليها -عموماً- طابع الحذر والتوتر، وهو ما كان يؤدي قطعاً إلى قيام الاحتكاك بينهما.

حيث أولى العثمانيون عنايتهم الفائقة في إيجاد عمق استراتيجي لهم في داخل اليمن، كان من شأنه حماية ثكناتهم على السواحل اليمنية والتي تعد القاعدة الاستراتيجية، مكنتهم -فيما بعد- من مد سيطرتهم إلى باقي أنحاء اليمن، إضافة إلى أنها مثلت قاعدة للإمداد العسكري للقضاء على أية أخطار تهدد قواهم في داخل البلاد. فيما كان يرى الزيدون أن العثمانيين باتوا يشكلون العقبة الرئيسية التي تحول دون تمكنهم من بسط نفوذهم على امتداد رقعة اليمن^(١٠).

وكنتيجة حتمية لقوة الدولة العثمانية -حينذاك- ولاهتمامها الواضح بولاية اليمن، التي أصبحت منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي بمثابة خط الدفاع الأمامي بالنسبة لحوض البحر الأحمر، فقد حرص العثمانيون على أن يكون لهم موضع قدم في المنطقة، لإغلاق هذا المنفذ البحري، وبالدات ميناء عدن أمام الخطر البرتغالي^(١١). الذي كان يهدد العالم العربي، بل والدولة العثمانية بشكل عام.

ورغم تلك الإجراءات فلم يتمتع الحكم العثماني بالاستقرار طويلاً إذ ظهرت قوى معارضة ضد العثمانيين في النصف الثاني من القرن السادس عشر ممثلة في أسرة آل القاسم بزعامة الإمام القاسم^(١٢) وأبنائه من سنة ١٥٩٧م وقامت هذه الدعوة على مراحل ومواقف عسكرية قوية بين الطرفين تحللها العديد من فترات الهدنة، وتزعم مراحل تلك الحروب بعد وفاة الإمام القاسم سنة ١٦٢٠م الابن الأكبر للإمام القاسم محمد بن القاسم، يسانده إخوته الحسن والحسين وأحمد، واستمرت قوى المعارضة بزعامة أسرة القاسم حتى تم خروج العثمانيين من اليمن سنة ١٦٣٥م^(١٣).

- (تمرد الشيخ علي الشرجي بمنطقة الحجرية في تعز عام ١٥٩٧م/١٠٠٦هـ وفي الاعوام)

١٠٢٧-١٠٣٠هـ / ١٦١٨-١٦٢١م) أنموذجا

حرص الولاة العثمانيون على أن تكون مدينة تعز^(١٤) مرتكزاً لتوسعاتهم في كل أرجاء اليمن، ولعل توجه الوالي أويس باشا حين قدم إلى اليمن سنة ١٥٤٦م إلى تعز يؤكد هذا الحرص، بعد أن قررت السلطنة العثمانية تحويل اليمن إلى قاعدة حربية عند مدخل البحر الأحمر، وعمدت السلطنة على تثبيت معالم الحكم العثماني سياسياً وإدارياً، فكانت مدينة تعز هي المحطة التالية بعد مدينة زبيد الساحلية لتكون المدينة مرتكزاً لتوسعاتهم نحو المناطق الشمالية ومنها العاصمة صنعاء^(١٥).

وقد أدت أخطاء العثمانيين الاجتماعية، والمتمثلة في الظلم الجائر الذي كان يقع على عاتق الأهالي إلى حدوث العديد من التمردات، والتي لم تكن مقتصرة على المناطق الشمالية من اليمن، فقد استعرت حمى تلك التمردات في أقاليم شافعية المذهب^(١٦)، كشفت بالتالي سوءاً العثمانيين، ودعت اليمنيين إلى ضرورة الثورة عليهم، ولعل تمرد قبائل شرجب عام ١٥٩٧/١٠٠٦هـ في منطقة الحجرية التابعة إدارياً لمدينة تعز، توضح مجريات الأحداث بشكل جلي.

قائد هذا التمرد هو الأمير علي الشرجي^(١٧)، أحد مشايخ منطقة شرجب^(١٨) - تابعه لاقليم الحجرية -، وكان قد على شأنه، وتنامت قوته من القبائل الموالية له في محيطه في الحجرية^(١٩)، وكان اهتمام السلطة العثمانية ببروز قوة الشرجي ينبع كون قبائل اقليم الحجرية، كانت تمثل لها قوة لا يستهان بها، لحماية ميناء المخاء القريب منها.

- اسباب التمرد:

في واقع الامر هناك العديد من الأسباب والتداعيات التي أدت إلى هذا التمرد، نجملها في التالي:

١ - طبيعة نظام الادارة العثمانية.

٢ - تصرفات الولاة والعمال والجنود العثمانيين.

٣ - التعامل مع الرهائن.

- تطور الحدث ونهايته:

لعل من الاهمية بمكان ان نذكر ان ما دفع الامير علي الشرجي الى التمرد على السلطة العثمانية، كان نتيجة لوجود العديد من الرهائن التابعين له في سجن القلعة في مدينة تعز، والذين قاسوا الازدلال والظلم وسوء المعاملة من قبل الجنود القائمين على القلعة، بالإضافة الى التنافس القوي بين الامير الشرجي وحيدرة السلمي شيخ قبائل الدمنة المجاور لاقليم الحجرية، وعدم امتثاله لحل الاشكال الذي

حدث في الدمنة^(٢٠) - كما سنتبين لاحقاً في مجريات الاحداث - كون وقد ألتجى بعض افراد تلك القبائل الى الشيخ الشرجي لانصافهم من ضير اصاحم من قبل الشيخ السلمي، والذي رفض أي تدخلات في شؤون منطقته من قبل الشرجي.

ولقد ادركت الادارة العثمانية ان ذلك التمرد من شأنه ان يضعف سيطرتها على الاقاليم الجنوبية في اليمن، لذلك ارسلت العديد من قواتها من مناطق مختلفة في البلاد، لوضع حد للتمرد^(٢١) وهو ماتم بالفعل، وال مصير الامير علي الشرجي في نهاية المطاف الى السجن.

التمردات القبلية:

قامت بعض التمردات في المناطق التي تقع تحت سيطرة العثمانيين، وظهرت الانقسامات والاضطرابات في داخل صفوفهم فتنازعوا فيما بينهم حول السلطة والمال، وتكررت أعمال السلب والنهب من قبل الجنود الأتراك، ومصادرة أموال المواطنين والتجار، وحتى الأجانب والقادمين إلى اليمن، خاصة من قبل الولاة والموظفين العثمانيين^(٢٢)

كانت النتيجة الحتمية لكل ذلك تخلخل الإدارة العثمانية، وضعف موقفها أمام اليمنيين، وأصبح هؤلاء الأخيرون أكثر نجاحاً وتماسكاً في تحقيق هدفهم رغم ضعف العتاد العسكري وإحكام حصار العثمانيين على الموانئ اليمنية لمنع وصول الأسلحة والرصاص في أيدي اليمنيين^(٢٣).

وأوضحت تلك التمردات القبلية، بجلاء مدى ظلم وجور حكام تلك الأقاليم ضد الأهالي، وهو الأمر الذي أدى إلى ردود أفعال -من قبل الأهالي- كما أدت سياسة البطش والتنكيل واستخدام القوة^(٢٤)، التي انتهجها بعض الولاة العثمانيين هي الأخرى إلى إشعال فتيل الثورة في نفوس اليمنيين ضد سلطة الحكم العثماني^(٢٥) وهكذا يتضح أن سوء تصرفات الولاة -السابقة الذكر- وجورهم المستمر ضد الأهالي كان وراء الاستجابة الكبيرة للقبائل لثورة الإمام القاسم، والانضواء تحت رايته.

عبر ابن لطف الله -أحد المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة-، رغم ميوله العثمانية- إلا أنه التزم الموضوعية خلال سرده لأحداثها بقوله: "وقد كان قبل الفتنة (أي ثورة الإمام القاسم).- أطبق على العباد الجور، وضعفت البرية، واستهلك العمال أموال الرعية، وقاست القبائل من الظلم أشد التعب، والهلول، والنصب، فمن أجل ذلك أشعلت القبائل نارها، وحملت على جنوبها أكفائها، وأصدقت الحروب"^(٢٦).

وباستقراء لأحداث الفترة التاريخية، تحديداً حين تسلم حسن باشا^(٢٧) ولاية اليمن

عام (١٦٠٤/١٥٨٥م) حيث كانت قد برزت جملة من التصرفات من قبل الولاة والعمال والجنود العثمانيين، كانت تسيء إلى سمعتهم الأخلاقية، تمثلت بقيام هؤلاء بأعمال سلب ونهب وابتزاز طالت غالبية الأهالي. وذلك لتغطية تكاليف معيشتهم "فلقد ترتب على التناقض الواضح بين ضالة المرتبات العثمانية بوجه عام، وبين تعلق الموظفين بمظاهر الحياة أن اتجه هؤلاء إلى ظلم الأهالي وإلى ابتزاز الأموال بالطرق غير المشروعة"^(٢٨). ولا شك بأن تلك التمردات القبلية، توضح بجلاء، مدى ظلم وجور حكام تلك الأقاليم ضد الأهالي، وهو الأمر الذي أدى إلى ردود أفعال -من قبل الأهالي- تمثلت بصورة تلك التمردات^(٢٩).

التعامل مع الرهائن:

كما إن سوء معاملة الرهائن^(٣٠) أفضى كذلك إلى إعلان حالات التمرد في السجون، وهو الأمر الذي يفسر لنا -حسب مؤرخ معاصر للآحداث- تمرد وعصيان رهائن سجن قلعة القاهرة تعز^(٣١) في شهر رجب من عام ١٥٨٧/٩٩٦م. نتيجة أن القائم على سجن القلعة: "قد أتعبهم أشد التعب وكلفهم جمع الحن والمهن والنكد والنصب، وامتحانهم أشد الامتحان، حتى أنه كان يكلفهم على عمل مزارع في القلعة مع الضرب الشديد والعمل الدائم المزيد. وقد تم إخماد ذلك التمرد بصورة بشعة، أثارت معها سحق واستياء الأهالي، حين أمر حسن باشا -والي اليمن حينذاك- بأن يوضع كل سجناء القلعة في أكياس: "ويرمى بهم من رأس القلعة من أرفع مكان عال"^(٣٢).

وقد زادت تلك الاجراءات من تذمر اليمنيين، واتبع العثمانيون هذه السياسة والمتمثلة في ظاهرة جمع الرهائن، من القبائل المناوئة للحكم، وذلك لضمان ولائها وعدم تمرداها ضد السلطة العثمانية. وكان غالب هؤلاء الرهائن من أبناء المشايخ، أو أقرب الناس إليهم، وقد أوضح مؤرخ معاصر للآحداث بشكل جلي تلك الظاهرة بقوله: "ومن ذلك أن من خالف أمرهم من الرعية أو مال إلى مخالفتهم من إمام حق أو غير ذلك عمدوا إلى قبض الرهائن، صغيراً كان أو كبيراً من ذكر أو أنثى، من أولاد شيخ البلد المخالفة، أو من كان يعتزري إليه"^(٣٣).

إلا أنهم -العثمانيون- أساءوا معاملة هؤلاء الرهائن، حيث كان يتم وضعهم في سجون مظلمة: "ثم يعمرن عليهم العمارة الأكيدة، حتى يهلكوا، كما فعلوا مع كثير من رهائن أرض اليمن"^(٣٤) ولقد كانت ظاهرة الرهائن من النساء، محل استياء وتذمر لدى الأهالي، وأثارت روح العداء ضد العثمانيين، كونها تسيء إلى سمعتهم، لما فيها من انتهاك صريح وعلني لقدسية حرمان المسلمين^(٣٥).

علاقة الشيخ علي الشرجي في الحجرية بالعثمانيين:

- المرحلة الأولى (التمرد الأول):

لاشك بان سوء معاملة الرهائن - كما ذكرنا انفا - كان أحد الأسباب المباشرة لاندلاع عدد من الاضطرابات في بعض أقاليم اليمن، وانقلاب الأهالي - في تلك الأقاليم - ضد العثمانيين، ولقد أوضح تمرد ، ارتكزت مجريات أحداثه في منطقة الحجرية التابعة لولاية تعز صحة ما ذهبنا اليه، حيث تمكن الشيخ علي الشرجي^(٣٦) - أحد مشائخها - في عام ١٠٠٦هـ/١٥٩٧م من قيادة تمرد القبائل هناك على السلطة العثمانية. بسبب وجود رهائن كثيرة من قبائله في سجون السلطة العثمانية في تعز، وقد تمكن بمعاونة قواته من السيطرة على غالب القلاع والحصون، القائمة بين الحجرية ومدينة تعز والتي تتمركز فيها قوات عثمانية، وأطلق من فيها من الرهائن^(٣٧). بل وأكثر من ذلك استطاع إحكام قبضته على قلعة القاهرة الحصينة والاستيلاء على محتوياتها وعتادها العسكري. وكانت القلعة - حينئذ - تمثل الخط الدفاعي الهام لمدينة تعز.

ومن الأهمية بمكان ان نذكر ان الشيخ علي الشرجي كان قد على شأنه ، وتنامت قوته من القبائل الموالية له في محيطه في الحجرية ، وقد اهتمت السلطة العثمانية ببروز قوة الشرجي في "وكان اذ ذاك شيخا من جملة مشائخها"^(٣٨).

وقد بالغ الولاة العثمانيون في تكريم أمراء المناطق -الموالين لهم- عن طريق منحهم ألقاباً عثمانية: "أمراء أو سناجق"^(٣٩). إلى جانب إعطائهم الهدايا، بل وأكثر من ذلك فإن سلاطين الدولة العثمانية أنفسهم كانوا يرسلون لهم: "الخلع والترقيات من استانبول بناء على طلب ولاة اليمن"^(٤٠).

ولقد بلغ هذا الأمر: "مثلة كبيرة خاصة خلال الولاية الثانية لجعفر باشا"^(٤١) عندما كان هذا الوالي في أتون صراع ضارٍ مع قوى الإمامة"^(٤٢) حيث استعان بالعديد من ابرز شيوخ الاقاليم الجنوبية في ادارة مناطقهم مدنيا وامنيا"^(٤٣) ولذلك لم يكن امامه -جعفر باشا- حين طلب منه الشرجي في سنة ١٠٢٤هـ/١٦١٥م تعيينه حاكما لاقليم الحجرية ، الا الاستجابة لذلك الطلب، وهذا دليل على تنامي قوته. "فانعم عليه بما، ورقاه إلى رتبة الاغوية ، ثم رفاه الوزير جعفر في غرة المحرم الحرام سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م إلى أعلى درجات المراتب، ورفعته الى اعز رتب المناصب، فانعم عليه بالصنحق الشريف السلطاني العالي المنيف الخاقاني"^(٤٤)، فصار يدعى بالامير علي بيك.

ولعل اهتمام جعفر باشا بالامير الشرجي يرجع الى ان قبائل اقليم الحجرية، كانت تمثل له قوة لا يستهان بها، لحماية ميناء المخاء القريب منها، خاصة وانه قد عمد إلى جعل السواحل اليمنية صاحبة الدور الرئيسي في التجارة بين الهند ومصر^(٤٥). خاصة مع تضاؤل الخطر البرتغالي في المياه الجنوبية منذ أوائل القرن السابع عشر الميلادي^(٤٦) (الحادي عشر الهجري)، وقد ازدهر ميناء المخاء في عهده وأصبح مركزاً كبيراً للتجارة العامة بالبحر الأحمر^(٤٧)، وقد نال الشرجي من الخطوة ايضا لدى الوالي العثماني الجديد محمد باشا^(٤٨) ففي شهر صفر من سنة ١٠٢٧هـ / ١٦١٧م، أولاه رعاية كبيرة وأبقاه في منصبه^(٤٩).

- المرحلة الثانية:

- التمرد الثاني للشيخ علي الشرجي في الحجرية:

ولم يكن التمرد الذي قام به الامير علي الشرجي الوحيد ضد السلطة العثمانية. فالأحداث التي قامت في منطقة الحجرية منذ اوائل سنة ١٠٢٧هـ / ١٦١٨م، تعطينا دليلاً واضحاً لما وصل اليه نفوذ الرجل حين " تحركت الفتنة الساكنة، وثارَت العداوة الباطنة واضطربت الحمية الكامنة، فيما بين الشيخ علي الشرجي حاكم الحجرية ، والشيخ حيدرة بن اسماعيل السلمي، شيخ منطقة خدير وما والاها"^(٥٠).

وكان السبب الكامن وراء تلك الاحداث يعود الى ان جماعة من أهل قرية الدمنة^(٥١)، من قبائل الشيخ حيدرة السلمي ، وآخرون من أقاربه، حصل فيما بينهم، وبين الشيخ حيدرة نزاع، بسبب مطالبة هؤلاء من الشيخ حيدرة، بتولية بعض وجهائهم في عدد من المناصب التابعة لنواحي الدمنة، ، وعندما رفضت تلك المطالب لم يكن أمامهم سوى اللجوء إلى الأمير علي الشرجي "ليكون لهم شفيعاً وعاضداً ومعيناً ومساعداً، لما هو له من القدر الرفيع ، لدى السلطة العثمانية"^(٥٢)، فحاول الأمير التدخل لدى الشيخ حيدرة السلمي الا ان الاخير، رفض اي تدخل في شؤون منطقته.

وكان هذا الرفض بمثابة اهانة للامير علي الشرجي ، ولذلك فقد امر المشايخ التابعين^(٥٣) له في منطقة الحجرية بتجهيز قبائلهم للحرب ، وامدهم بالعتاد العسكري من السيوف والبنادق الى ان اجتمع لديه ، قدر ثلاثة الاف رجل^(٥٤)، وقصد التوجه بهم على الشيخ السلمي الى مقره في الدمنة.

الصراع بين الشرجي وحاكم الدمنة:

وصلت تلك القوات الى الدمنة مقر الشيخ حيدر السلمي لمحاربته في اليوم السادس من شهر ربيع الاول، من ١٠٢٧هـ/١٦١٨م، الا انها لقيت مقاومة شرسة من قبل قبائل ال السلمي التابعين للشيخ حيدرة^(٥٥) وقتل من جماعة الامير علي الشرجي عدد غير قليل^(٥٦)، فلما رأى الشرجي تلك المقاومة الشرسة من قبل العسكر التابعين للشيخ علي السلمي ، وتحقق "من تتابع الغارات والعساكر اليه من جميع البلاد تفهقر بقبائله الى اماكن امنة في الجبال المحيطة بمنطقة السلمي"^(٥٧)

وفي حقيقة الأمر فقد فقد كان ذلك الصراع محل اهتمام الوالي محمد باشا ،والذي أدرك انه من الاهمية بمكان وضع حد للتمرد الواسع النطاق وسط الأقاليم الجنوبية، تحديداً منطقة الحجرية والتي استغل حاكمها الشرجي، احتدام الصراع بين الإمام(القاسم بن محمد) ومحمد باشا في أوائل سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م ليعلي من شأنه وليوسع من دائرة سيطرته^(٥٨). خاصة وأنه كان يأمل عند قدومه إلى اليمن من إحراز نصر عثماني كبير وحاسم ضد الإمام القاسم، لرفع مكانته لدى السلطنة وبالتالي تحجيم الإمامة سياسياً^(٥٩)، خاصة وقد دخل في أنون حرب ضارية في الشمال الجبلي مع الإمام ، أفقدته الكثير من قاداته وجنوده، بالإضافة إلى ما حدث من اضطرابات في صفوف قواته، التي ملت الحروب وطالبت بمخصصاتها المالية، بل وأدى الأمر أن بعضهم قد: "هم بقتله"^(٦٠).

ولذلك فقد اصدر اوامره الى الامير علي الشرجي ، والتي تقتضي نفيه عن هذه الفتن ، "ومنعه وزجره عن اظهار الفساد في اقليم اليمن"^(٦١)، ودعاه الى الرجوع الى حيث كان ، فلم يجد الاخير حينئذ بدا من الامتنال لهذه الاوامر ، فرجع الى محله في الحجرية، الا انه ترك ولده جهلان مع قواته - الانفة الذكر- في الدمنة لمحاربة الشيخ علي السلمي وقبائله، وحيال ذلك وضع احمد آغا^(٦٢) حاكم تعز، تدابير امنية لحماية المدينة اذا ما فكر الامير الشرجي مدهمتها، ولم يكتف حاكم تعز بتلك الاجراءات بل انه جمع عددا كبيرا من العسكر وتوجه بهم في الثاني عشر من شهر ربيع الاول من السنة ١٠٢٧هـ/١٦١٨م، الى الجند ونصب معسكره هنالك لاعانة الشيخ علي السلمي.

من جانب اخر فقد أصدر الوالي محمد باشا أوامره الى حاكم جبلة الامير محمد بيك بن ادريس الحبيشي، بان يتقدم بقواته الى قرية الجند لدعم قوات احمد آغا ،وقد امره ايضا قبل أن يخوض غمار أي حرب، اجراء مفاوضات بين الامير الشرجي والشيخ حيدرة السلمي ،لعل من شأنها إيقاف تداعيات الحرب فأرسل الامير محمد الحبيشي جماعة من الاعيان الى الامير علي الشرجي -في مقره في الحجرية- في محاولة لانهاء الفتنة القائمة^(٦٣)، إلا انه لم يعرهم أي اهتمام ولم يستجب لهم.

مخاوف محمد باشا من التمرد:

وفي حقيقة الامر فقد اثارت ردود الافعال من قبل الامير الشرجي وعدم استجابته لرفع قواته من الدمنة مخاوف لدى الوالي محمد باشا، والذي بات يدرك ان هذا التمرد سيؤدي بالتالي الى ضعف سيطرة الادارة العثمانية واحكام قبضتها على الاقاليم الجنوبية في اليمن. لذلك أصر على عدم الاستجابة لتطلعات الشرجي، ووضع اهتمامه لبعض الوقت على عدد من اهم الامراء اليمنيين العثمانيين في الاقاليم الجنوبية لاجراء مفاوضات مع الشرجي، لعودة الامور الى ماكانت عليه ولكنهم خيبروا امله، فقد ظلوا يؤثرون الوقوف عند تطويق تحرك الشرجي لبقى مقتصرًا على الحجرية، وتجنبوا استخدام القوة لوضع حد لما يحدث داخل الحجرية^(٦٤).

ومن الاهمية بمكان ان نذكر هنا انه كان هناك قلقا اشد للوالي محمد باشا، ازاء تطورات الاوضاع في الحجرية، فلم يكن مايدور فيها وقرىها منها بعيدا عن السواحل، وكان ميناء المخاء قد تعرض لهجوم بحري انجليزي في نهايات الولاية الاولى لجعفر باشا^(٦٥). ولم يعد هناك وجود فعال للبحرية العثمانية عند السواحل اليمنية^(٦٦). بينما الهولنديون وكذا الانجليز يتطلعون اكثر نحو تلك السواحل، لنيل امتيازات تجارية لصالحهم، وكان الوالي السابق جعفر باشا قد واجه بحذر مطالب كهذه^(٦٧).

كما ان خطورة تمرد الأمير علي الشرجي تكمن في كونه قد حاول مد سيطرته إلى مناطق بالغة الأهمية بالنسبة للعثمانيين. حيث أرسل قوات يصل قوامها إلى ثلاثة آلاف جندي للسيطرة على إقليم خدير -الواقع شرق مدينة تعز- الذي كان تحت نفوذ الأمير اليمني العثماني حيدرة بن إسماعيل السلمي، ولم يكنف بذلك بل عمد إلى قطع: "طريق عدن تعز وطريق المخاء من طريق موزع"^(٦٨). الأمر الذي يعني قطع أي إمدادات عسكرية وغذائية قادمة من السلطنة عبر مينائي عدن والمخاء إلى مركز الحكم العثماني في صنعاء^(٦٩).

أدرك محمد باشا خطورة الوضع القائم مع خشيته امتداد تمرد الأمير علي الشرجي إلى غالب المناطق الجنوبية، لذلك أمر بسحب جميع قواته: "المرابطة من كوكبان إلى عدن"^(٧٠) والتقدم إلى منطقة الجند لوضع حد للتمرد إلا أن تلك القوات لم تستطع تحقيق أي نصر يذكر خاصة وأن عدداً غير قليل من القبائل الجنوبية (في اليمن الأسفل) قد انضمت إلى قوات الأمير الشرجي وتمركزت على طول الطريق من الحجرية غرباً إلى دمنة خدير شرقاً.

وفي واقع الامر فقد مثل توافد القوات العثمانية بتلك الاعداد الكبيرة، الى جانب عتاها العسكري الكبير الى منطقة الجند، خطراً محدقاً لقوات الشرجي، وهو الامر الذي جعل ابنه جهلان

يأمر قواته بالانسحاب الى الجبال^(٧١) المحيطة بالدمنة والتحصن بها، وهو اجراء من شأنه اعطائه مزيدا من المناورات ضد القوات العثمانية ، فهو بهذا الاجراء يستطيع في أي وقت مهاجمة تلك القوات والانسحاب بشكل سريع الى مواقعه الجبلية الحصينة، وهو الامر المتمثل بحرب العصابات -الكر والفر- كون الدمنة ومنطقة الجند اراضي سهلية، ، كما ان هذا الاجراء كان بالتالي عاملا مساعدا في تأخير انتصار أي طرف على الآخر^(٧٢).

وصول امدادات عسكرية من السلطنة لاحتواء الموقف:

أيقن الوالي محمد باشا أن استمرار تفاقم الأوضاع في المناطق الجنوبية بتلك الصورة القائمة قد يؤدي إلى عصيان واسع النطاق هناك، وإلى زعزعة النفوذ العثماني في الولاية. لذلك سارع إلى مطالبة السلطنة بتعزيزه بقوات عسكرية لكبح تمرد قبائل المنطقة كشرع وبما والاها، ولم تتوان السلطنة في الباب العالي من إرسال الإمدادات العسكرية التي طلبها واليها في اليمن^(٧٣)، فلقد رأت أن الوضع في المناطق الجنوبية للولاية أصبح بالغ الخطورة، خاصة مع خشيتها أن يستغل الإمام القاسم في مناطق الشمال الجبلية ذلك ويعمد إلى نقض الصلح المبرم مع محمد باشا، وهو أمر إن حدث سيؤدي إلى نتائج لا تحمد عقباها في والولاية. فكان أن أمرت بإرسال قوة عسكرية من ولاية مصر "وقوامها قرابة اربعمائة جندي بكامل عديمهم وعتادهم"^(٧٤) تحت قيادة الأمير صفر.

وصلت هذه الحملة العسكرية العثمانية إلى مدينة تعز في شهر صفر ١٠٢٨هـ/١٦١٩م فعمد محمد باشا إلى تعيين قائد تلك الحملة الأمير صفر حاكماً على : "تعز وما إليها وجبل صبر وأعمالها وشرع وتوابعها"^(٧٥) ويبدو أن إجراءاته السريعة تلك كان الغرض منها إضفاء مزيد من الهيبة على القوة العسكرية القادمة من السلطنة من جانب^(٧٦) ومن جانب آخر إعطاء صلاحيات واسعة للقائد العثماني الأمير صفر لإحكام قبضته على التمرد القائم في تلك المناطق من البلاد، خاصة وأن الأمير صفر كان ملماً بأوضاع اليمن من خلال خدمته مع جعفر باشا عندما كان والياً لليمن^(٧٧) في الفترة ١٦٠٨-١٦١٦م.

عزل الشرجي من اقليم الحجرية وتكثيف القوات لمواجهة:

لم يكن امام الوالي العثماني محمد باشا حيال تفاقم الامور وعدم استسلام الامير الشرجي ، الا ان عزله من بلاد الحجرية، وولى بدلا عنه الآغا مامي^(٧٨). وقد قام هذا الاخير بالتقدم بقواته وعدد غير قليل من القوات العثمانية المرابطة في الجند الى نجد قسيم المشهور، وهو طريق يقع ما بين جبل صبر والحجرية^(٧٩). كما امر الامير صفر عقب وصوله الى زبيد، بالانضمام الى القوات العثمانية المرابطة في

بجد قسيم ، وبعد مضي نصف شهر، اسند اليه ولاية تعز وما اليها ، وجبل صبر واعمالها، وشرع بـ
وتوابعها، بدلا عن احمد آغا -السابق ذكره- الذي تولى ولاية الحجرية^(٨٠).

لم يكن امام القائد العسكري العثماني الامير صفر -والذي اصبح للتو حاكما لولاية تعز- سوى
الاسراع لاجماد تمرد الشرجي، خوفا من استثناء هذا التمرد الى الاقاليم القريبة من الحجرية، خاصة
والشمال الجبلي يخوض ايضا اتون حرب ضد القوات العثمانية هناك^(٨١).

لذلك فقد وجه فرقة سرية من العسكر الموثوق بهم لاستطلاع الوضع في جبل حبشي المتمركز
فيه الشرجي، ومعرفة الطرق المؤدية اليه، واستعدادات اهل الجبل العسكرية، وبالفعل قدم اليه تقريراً
مفصلاً حول مكان الضعف الحاصلة لدى أهالي الجبل، وكذلك استعدادهم للمواجهة، وهو الأمر
الذي جعله يتقدم في السابع والعشرين من شهر صفر من سنة ١٠٢٨هـ / ١٦١٩، لمهاجمة المتحصنين
في جبل حبشي، ونتيجة للتفوق العسكري في الجانب العثماني فقد تمكنت القوات العثمانية من
السيطرة على الجبل وكبح جماح المتمردين فيه. "واقام الامير صفر في جبل حبشي الى العاشر من شهر
ربيع الاول، ثم امر قواته بمتابعة الشرجي"^(٨٢)، الذي لم يكن امامه سوى مغادرة مكانه الذي يحتمي
فيه وهو المقدار بجانب يفرس وزحف بقواته الى حد منطقة الاعلوم احدى قرى الحجرية.

وحال تقهقر العديد من قوات الشرجي وتخاذل مناصريه ، بالاضافة الى وجود القوات العثمانية
الكبيرة وفي محاولة منه لعودة الامور الى ما كانت عليه ، فقد قام بمراسلة الوالي محمد باشا وطلب منه
العفو ، الا ان الوالي محمد باشا اشترط مقابل العفو عنه وصوله "إما بنفسه او ولده جهلان الى
حضرته، والوقوف بين يديه على بساط السلطان، وله حينئذ الامن والامان لكنه لم يوافق على هذا
الشرط"^(٨٣).

وفي واقع الأمر فقد كثف الأمير صفر من إجراءاته العسكرية من الجنود والعتاد الحربي، في شهر
ربيع الآخر من سنة ١٠٢٨هـ / ١٦١٩ الى اواسط بلاد الحجرية، واستطاع بعد معارك ضارية
خاضتها قواته مع قوات القبائل من مدينة تعز إلى إقليم الحجرية^(٨٤) محاصرة الأمير الشرجي في منطقة
الأعلوم^(٨٥) ، وكان الشرجي قد استدعى غالب قواته المرابطة في ناحية دمنة خدير لمواجهة القوات
العثمانية في الحجرية.

وفي خطوة كان الغرض منها قطع الإمدادات على الأمير الشرجي في مركز تحصنه في
الأعلوم^(٨٦)، التقى الأمير صفر بمشائخ بلاد الحجرية: "ومشائخ

السامعية وشيخ الصلو وشيخ بني حماد وشيخ الأعروق" ^(٨٧). وغيرهم من مشائخ تلك الجهات الواقعة إلى الشرق وإلى الغرب من مدينة تعز، واستطاع بعد مفاوضات أجراها معهم أن يعيد موالاتهم ثانية للنفوذ العثماني، وحسب المؤرخ الموزعي فقد: "رعاهم وأحسن إليهم" ^(٨٨).

تابعت القوات العثمانية سيرها لمحاصرة الأمير الشرجي في قرية ذبحان، خاصة بعد أن قام إخوانه بسد الطريق المؤدية إلى ذبحان، في وسط تقيل الشرعي. واستطاعت تلك القوات من السيطرة على التقيل ^(٨٩) ولم يكن أمام الأمير علي الشرجي، بعد أن أحكمت القوات العثمانية سيطرتها على ذبحان إلا التحصن في بلاد المقاطرة، فيما طلب ولده جهلان، من الأمير صفر الأمان وأبدى الولاء والطاعة. فاجابه إلى ما طلب، وأنعم عليه بالأمن والأمان" ^(٩٠).

لم تدم حالة جهلان كثيرا فلقد أوغر بعض أقاربه صدر الأمير صفر، حيث أكدوا له أنه يعد العدة بالانضمام إلى مقر تحصن أبيه في قلعة المقاطرة، وهو الأمر الذي أدى إلى القاء القبض عليه في شهر ربيع الأول من سنة ١٠٢٩هـ/١٦٢٠، وأرسل إلى قلعة القاهرة، وفي "شهر ربيع الأول من السنة المئمة ثلاثين سنة من بعد الألف، تم نقله إلى صنعاء وأودع في القلعة المشهورة بدار الحمراء محروس صنعاء" ^(٩١).

لم يكتف الوالي العثماني بتلك الإجراءات التي فرضتها القوات العثمانية لإحكام سيطرتها على مناطق الحجرية بل صدرت الأوامر "بقبض الرهائن من مشايخ الحجرية جميعهم، وأن كل رهينة تكون مثقلة العدد: زوجة وبنتا وذكر من الولد" ^(٩٢) - ولم يكن أمام الأهالي بدا في ذلك - فأجابوا جميعا بالطاعة بأفصح المقال، وبأدروا سريعا بالطاعة والامتثال" ^(٩٣)، وتم إيصال الرهائن إلى قلعة القاهرة وحصن تعز.

وكما ذكرنا انفا فلقد كانت ظاهرة الرهائن من النساء، محل استياء وتذمر لدى الأهالي، وأثارت روح العداء ضد العثمانيين، كونها تسيء إلى سمعتهم، لما فيها من انتهاك صريح وعلمي لقدسية حرمة المسلمين ^(٩٤).

وهكذا أدت تلك الإجراءات التي عمد إليها الأمير صفر إلى نتائج إيجابية، حيث امتنعت جميع قبائل الحجرية والأقاليم المجاورة لها من مؤازرة الأمير علي الشرجي أو تقديم الإمدادات - العسكرية والغذائية - إليه، وهو الأمر الذي أدى في نهاية المطاف في شهر رمضان ١٠٢٩هـ/١٦٢٠م بعد حروب

استمرت قرابة السنتين^(٩٥) شهدها إقليم الحجرية إلى إثناء تمرد الأمير علي الشرجي، والذي لاذ للاحتباء بمحصن الجاهلي المنيع في جبل المقاطرة.

الامير الشرجي يطلب الصلح من الوالي محمد باشا:

وفي حقيقة الامر فان الامير علي الشرجي ، لم يستطع الصمود حيث فقد كل اعوانه وفناصريه ، واصبح في موقف من الضعف لا يستطيع معه مواجهة القوات العثمانية الكبيرة ، لذلك لم يجد بدا من طلب الصلح من الوالي العثماني محمد باشا في شهر رمضان من سنة ١٠٣٠هـ/١٦٢١م^(٩٦) و"ان يعطيه الامان الصادق، ويعهد له العهد الاكيد الواثق على ان يطلع هو بنفسه الى حضرته الشريفة آمنة مطمئنا من غير ريبة ولا خيفة"^(٩٧).

فاجابه الوزير الى ما طلب، وعفا عنه ، الا ان ذلك لم يكن كاف لديه كونه قد خير بامور الولاة العثمانيين وغدرهم الدائم بعد اعطاء عهودهم، ولذلك ارسل الامير الشرجي "بخط يده مسودة تنطوي على امور كثيرة، وشروط متعددة، وشرح فيها اولا العفو والرضا عنه ظاهرا وباطنا، وانه لا يبحث، ولا يسأل عما اساء وجئي، ولا يلام ولا يعاتب، ولا يطلب منه مال الحجرية في زمن ولايته، ولا يحاسب، ولا يؤمر بتسليم دين يدعى عليه بموجب تذاكر او غيرها ولا يطالب، ولا يطلب منه سلاح ولا خيل ولا رماح، وانه يبقى في محروس صنعاء، تحت نظر ولي الامر فيها بالاغزاز والاكرام، والتعظيم والتكريم والاحتشام، وان منصبه منصب الامراء، ذوي الالوية الشريفة، وان يجري عليه كتابة المقرر له في دفاتر السلطنة المنيفة، وان ولده جهلان يطلق من الحبس، ويبقى في صنعاء"^(٩٨). توجه الشرجي مع الامير صفر الى صنعاء، الى مقر حكم الوزير الباشا محمد، وحسب

مؤرخ معاصر للاحداث فقد "دخلوا مدينة صنعاء في هيئة عظيمة الشأن، لم يسمع بمثلها، وابتهجت صنعاء فرحا وحبورا،"^(٩٩).

ايداع الامير الشرجي السجن:

الا انه وقبل رحيل محمد باشا عن اليمن، بعد ان تم تعيين وال جديد وهو فضل الله باشا^(١٠٠) في شهر المحرم سنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م، فقد "امر بحبس الامير علي الشرجي ، هو واولاده، ومن معه وجميع خدمه واعوانه ومن تبعه، فاودعوا في دار الخمراء المشهورة"^(١٠١) في وسط صنعاء، وضربت عليهم القيود والاغلال في الحبس جمعا، ليستريح من مكره وغدره وشره"^(١٠٢).

مما لا شك فيه أن الصورة التي رسمناها لمجريات الأحداث السابقة الذكر توضح بجلاء، الاسباب

الكامنة وراء تمرد الامير علي الشرجي ضد الحكم العثماني في اليمن ، واطهرت بالتالي مدى ضعف سيطرة السلطة العثمانية على مناطق حكمها، وأن استمرار الحروب ضدها لم تؤد إلى نتيجة كان يتوخاها الجانب العثماني، سوى خسائر جديدة في صفوف قواته، ونفقات مالية تزيد من أعباء الإدارة العثمانية في اليمن.

وفي واقع الأمر فقد أظهر تمرد الشرجي حقيقة هامة ايضا وهي أنه بات يمثل قوة عسكرية أثرت في مجريات الأحداث -للخارطة السياسية لليمن وقتئذ- بل واستطاع ان يعلي شروطه وباعتراف ضمني بها من قبل الوالي العثماني محمد باشا، كما بين التمرد حقيقة أخرى وهي ضعف الحكم العثماني واهتزاز بنيته في الولاية بشكل عام .

الهوامش:

- (١) الجابري، محمد: موسوعة دول العالم "حقائق وارقام" القاهرة، مجموعة النيل العربية: ص ٢٥٣.
- (٢) د. سالم، سيد مصطفى: تكوين اليمن الحديث -اليمن والامام يحيى- (١٩٠٤-١٩٤٨): الطبعة الرابعة، دار الامين للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣م: ١٧.
- (٣) رأفت الشيخ: العرب في التاريخ المعاصر، القاهرة، دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠٨م: ص ٢١١.
- (٤) د. سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨-١٦٣٥): الطبعة الثالثة، مطبعة الجبلأوي، القاهرة، ١٩٧٨م: ٤٠.
- (٥) اهل اليمن عموما من المسلمين الاثني ينقسمون الى شيعة وهم اتباع المذهب الزيدي، والى سنة وهم يتبعون المذهب الشافعي ويقطن الشافعيون السهول والمهضبة الجنوبية والوسطى، ويبلغ تعدادهم ثلثي سكان اليمن، اما الزيديون فيتجمعون اساسا فوق الجبال، وخاصة شمال المهضبة وهم حوالي ثلث السكان، ويقبضون على زمام الحكم في اغلب الاحيان منذ ظهور المذهب المذهب الزيدي في اليمن (سالم، سيد مصطفى : تكوين اليمن الحديث: المصدر السابق: ٢٣).
- (٦) د. العمري، حسين بن عبد الله: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر (١٥١٦-١٩١٨م): ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩م: ٩٥ ؛ أمين، أحمد: ضحى الإسلام، القاهرة ، ١٩٨١م: ١٦٢/٣؛ أبو زهرة ، محمد: دائرة المعارف الاسلامية ،الجزء الثاني، الطبعة الثامنة ، دار الشعب: ٤٩٣/٢-٤٩٦.
- (٧) المقصود هنا الاسر الزيدية .
- (٨) د. سالم، سيد مصطفى: المصدر السابق: ٤٣.
- (٩) نفس المصدر السابق: ١٧١.

(١٠) النود، وليد عبد الحميد: قيام الدولة الإمامية في اليمن (قيام الدولة الإمامية القاسمية ١٠٠٦هـ/١٠٥٤هـ/١٥٩٧-١٦٤٤): رسالة ماجستير لم تنشر، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠١م: ٩٨.

(١١) د. سالم، سيد مصطفى: المصدر السابق: ٣٦٠.

(١٢) هو الإمام المنصور القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي الرشيد (٩٦٧-١٠٢٩هـ/١٠٥٩-١٦٢٠م) دعا إلى نفسه بالإمامة من جبل قارة حديد في سنة ١٠٠٦هـ/١٠٩٧م، وهو مؤسس الدولة القاسمية في اليمن، وقد حظى بعدة تراجم موسعة: (١)، وللإمام القاسم العديد من المؤلفات منها: (الأساس في عقائد الأكياس) و(الاعتصام بحبل الله المتين) وغير ذلك. (د. المحجري، عبد الحكيم: ثورة الإمام القاسم بن محمد ضد الوجود العثماني الأول في اليمن، رسالة دكتوراه - لم تنشر - كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٤م؛ الأكوع، إسماعيل، هجر العلم، ج ٢، ص ١٠٦٢-١٠٦٤)

(١٣) د. سالم، سيد مصطفى: المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول (١٥٣٨-١٦٣٥): المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧١م: ١٠.

(١٤) تعز مدينة كبيرة في السفح الشمالي لجبل صبر تبعد عن صنعاء جنوباً بمسافة ٢٤٥ كم، ومدينة تعز هي عاصمة ومركز (المحافظة) التي عرفت باسمها (محافظة تعز) وتشمل عدد من الوحدات الإدارية، وتزخر المحافظة بعشرات المواقع الأثرية والتاريخية، ومنها واحد وثلاثون حصناً وأربع قلاع أثرية (المحفي، إبراهيم أحمد: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مجلدين، دار الكلمة للطباعة والنشر، صنعاء، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م: ج ١، ٢٣١-٢٣٣).

(١٥) د. سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني الأول لليمن: ص ١٧٣-١٨٤.

(١٦) النود، وليد: المصدر السابق: ١٢٢.

(١٧) في واقع الأمر لم تسعفنا المصادر التي بين أيدينا إلى أية تفاصيل عن الأمير علي الشرجي، نسبة حياته... إلخ، سوى أنه أحد مشائخ شرجب، ويبدو أن الرجل كان قوي

الشكيمة ذو خيرة قتالية كبيرة استطاع ان يفرض نفسه، بعد ان اجتمعت اليه قبائل شرجب والقبائل المحيطة بها.

(١٨) مركز اداري من مديرية الشماليين في بلاد الحجرية، يبعد عن مدينة تعز ٥٧ كم. وقد ذكرت شرجب في نقش النصر في منطقة صرواح الموسوم (٣٩٤٥ - RES) وهذا النقش يعتبر من أهم الآثار التاريخية والذي سجل فيه الملك السبئي (كرب ايل وتر) حروبه ضد حضارة اوسان ، وذكر أنه هاجم شرجب بالمعافر (الحجرية حالياً) كما هاجم ذبحان وقشرم وهي المناطق المجاورة لشرجب كما يذكر أنه أحرق مدينة شرجب وهي مدينة تجارية أسسها آل شرجب في طرق التجارة . (المقحفي، ابراهيم: معجم البلدان والقبائل: ج١، ٨٥٨ ؛ بافقيه، محمد عبدالقادر: تاريخ اليمن القديم: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م: ٥٩- ٦٠) .

(١٩) انظر الصفحات: ٩-١١ .

(٢٠) تقع جنوب مدينة تعز وتبعد عنها بنحو ٦٥ كيلو متر جنوب غرب كان يعرف قديماً باسم المعافر نسبة الى المعافر بن يعفر بن مالك ومركز مدينة الحجرية اليوم هي مدينة التربة من ذبحان ومن مناطقها الاثرية قلعة الدملة وقلعة المغلس (المقحفي، ابراهيم احمد: معجم البلدان والقبائل اليمنية: ٤٢٢/٢ ؛ الحجري، محمد بن أحمد: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع: مج ١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٤م: مج ١/ ٢٣٢-٢٤٠) .

(٢١) انظر الصفحات: ١١-١٦ .

(٢٢) براود: ك. خ: اليمن في أوائل القرن السابع عشر (مقتطفات من الوثائق الهولندية المتعلقة بالتاريخ الانتصاري لجنوب الجزيرة العربية ١٦١٣ - ١٦٣٠م: شركة أ. ي، بريل، ليدن، ١٩٨٨م: ١٦٦. وللمقارنة انظر، Serjeant. R. B. Sana, a An Arabian Islamic city, P:77-78

(٢٣) براود: ك. خ: المصدر السابق: ١٤٢ .

(٢٤) لمزيد من التفاصيل انظر د. سالم، سيد مصطفى: المؤرخون اليمنيون: ٥٥-٦٣ .

(٢٥) السالمي: محمود: محاولة توحيد اليمن: ٤١ .

(٢٦) ابن لطف الله، عيسى: روح الروح فيما حدث بعد المئة التاسعة من الفتن والفتوح: (مخطوط): وزارة الاعلام والثقافة، صنعاء، ١٩٨١م: ق: ٦٥.

(٢٧) كان والياً على اليمن في الفترة من (٩٨٩هـ — ١٠١٣هـ / ١٥٨١م — ١٦٠٥م) للمزيد من التفاصيل انظر: د. سيد سالم: الفتح العثماني: ٣٣١ ؛ العمري، حسين: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر: ٢٠.

(٢٨) د. سالم، سيد مصطفى: المصدر السابق: ٨٨٤؛ وللمقارنة انظر: د. رافق، عبد الكريم: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت: ٢٤٤ وما بعدها.

(٢٩) د. سالم، سيد مصطفى: المصدر السابق: ٢١٦-٢١٧؛ وللمقارنة انظر: د. نورس (علا): دراسات

تاريخية عثمانية: دار الفكر المعاصر، صنعاء ١٩٩٨م: ٢٠- وما بعدها.

(٣٠) كانت اليمن بطبيعتها الجغرافية والاجتماعية عائقاً أمام سلطة الدولة المركزية، خاصة وأن المجتمع اليمني اعتاد الحروب التي خلقت له عدم الميل إلى النظام. لذلك رأى الأتراك — أخذ رهائن من شيوخ القبائل القوية والبعيدة عن سلطة الدولة كوسيلة للسيطرة على تلك القبائل واجبارها للانصياع إلى سلطتهم المركزية، ولم تكن سياسة الرهائن حديثة الولادة، بل إنما تعود إلى العمق التاريخي، الذي تشكلت فيه دول حضارية منذ القدم، وإذا ماعدنا إلى الدول القديمة التي قامت في جنوب الجزيرة العربية، فقد كان الملك السبئي «كرب آيل وتر» يحتفظ بالأطفال عندما يخوض المعارك لإخضاع الممالك المحيطة خاصة عندما أغار على أهل «كحد سوطم»، وغالباً ما كان الرهائن من بين أبناء الأمراء والذوات، وإن استمرار عملية الرهائن في اليمن من العصور القديمة، جاءت متوارثة، وتنتقل من سلطة إلى أخرى حتى دخل الأتراك إلى اليمن، وتوسعوا في استخدام هذه السياسة. ولقد بالغ الأتراك في استخدام هذه السياسة خاصة عندما كانت الثورات تنفجر في المناطق، ولم ير الأتراك طريقة أخرى لكبح جماح البلاد والسيطرة عليها — في ظل قسوتهم في الحكم، خاصة وأن أعدادهم كانت قليلة، ولا تكفي لإقامة نقاط عسكرية قوية في جميع أنحاء البلاد، لذلك يتحدث البحارة الهولندي «بيتر فن بن بروكه». أن القلاع العثمانية في نعر كانت مليئة بالرهائن، الذين لا يقلون عن ألف رهينة، ومع ذلك نرى أن سياسة الرهائن كانت

تسير باطراد مع قيام الثورات، لاقتناع الولاة الأتراك، أن الشعب اليمني لن ينصاع لأوامرهم إلا إذا تضرر مادياً ومعنوياً، وألقي الرعب في نفوس أبنائه لإجبارهم على التسليم بالحكم التركي (العرشي، حسين بن أحمد: بلوغ المرام في شرح مسك الختام: مطبعة البرتيري، القاهرة، ١٩٣٩م، ص ٦٢؛ العمري، حسين عبدالله: مائة عام من تاريخ اليمن الحديث: دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، ص ٣١١؛ سيد سالم: الفتح العثماني الأول لليمن: ٣٤٩؛ براود: ك. خ: اليمن في أوائل القرن السابع عشر: ٧٢.

(٣١) قلعة مشرفة على مدينة تعز بسند جبل صبر (المقحفي، إبراهيم: معجم البلدان والقبائل اليمنية: ١٢٤٢/٢)

(٣٢) الموزعي، عبد الصمد بن إسماعيل: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان: تحقيق عبد الله المحبشي، منشورات المدينة، صنعاء: ٦٧.

(٣٣) د. المهجري، عبد الحكيم: المصدر السابق: ٢٨-٢٩.

(٣٤) د. المهجري، عبد الحكيم: المصدر السابق: ٥١٣؛ الموزعي، عبد الصمد: المصدر السابق: ٦٤.

(٣٥) ابن القاسم، يحيى بن الحسين: غاية الاماني في اخبار القطر اليمني: تحقيق د. سعيد عاشور، ج ٢، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م: ٧٨٦/٢.

(٣٦) السالمي، محمود: محاولة توحيد اليمن: ٢٠؛ د. المهجري: ٦٤٣؛ الموزعي، عبد الصمد: ٨٤-٨٦؛ ابن القاسم، يحيى بن الحسين: المصدر السابق: ٧٧٧/٢؛ راشد، أحمد: تاريخ اليمن وصنعاء، ترجمة حمدي إبراهيم عبد الرحمن، العراق، ١٢٩٢هـ: ١١٩.

(٣٧) الموزعي، عبد الصمد: المصدر السابق: ٨٥.

(٣٨) نفس المرجع السابق: ٥٤.

(٣٩) د. سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني: ٤٦٢.

(٤٠) راشد، أحمد: المصدر السابق: ١١١.

(٤١) جعفر باشا: كان والياً على اليمن في الفترة من (١٠١٦-١٠٢٥هـ/١٦٠٨-١٦١٦م) للمزيد من التفاصيل انظر: د. سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني، ص ٣٧٧-٣٨٤؛ سالتامة اليمن: لسنة ١٣١٤هـ: ٣٦٧.

(٤٢) السالمي، محمود: محاولة توحيد اليمن: ١٦٧.

(٤٣) نفس المصدر السابق: ١٤٢.

(٤٤) الموزعي، عبد الصمد: المصدر السابق: ١٥٤.

(٤٥) براود: ك. خ: اليمن في أوائل القرن السابع عشر: ٨٤-٨٥.

(٤٦) Serjent. R. B. the south Arabian, P : 25
the portuese of

ROBERT.L.P Layfair. A history of P: 105 (٤٧)

Arabia Falix, (٤٨) محمد باشا: (كان والياً على اليمن في الفترة من سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م إلى ١٠٣١هـ/١٦٢١م) د. سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني، ص ٣٨٣؛ سالتامة اليمن: لسنة ١٣١٤هـ: ٣٦٨.

(٤٩) الموزعي، عبد الصمد بن إسماعيل: الإحسان: ١٥٤.

(٥٠) الموزعي: نفس المصدر السابق: ١٥٤.

(٥١) وهي دمنة حدير تقع الى الجنوب الشرقي لمدينة تعز. بمسافة ٣٠ كم (المحففي، إبراهيم أحمد: معجم البلدان والقبائل اليمنية: ١/ ٦٢٢٢).

(٥٢) الموزعي: نفس المصدر السابق: ١٥٤.

(٥٣) قبائل حصن الجاهلي وقلعة الحديه، واسر وحضه و الشرف (المحففي، إبراهيم: معجم البلدان والقبائل: ١/ ٨٥٨).

(٥٤) النود، محمود: المصدر السابق: ١٦٦.

(٥٥) الموزعي، عبد الصمد: المصدر السابق: ٥٨.

(٥٦) نفس المصدر: ١٥٩.

- (٥٧) نفس المصدر: ١٦٠.
- (٥٨) د. المهجري، عبد الحكيم: ثورة الامام القاسم: ١٥٣.
- (٥٩) نفس المصدر المصدر السابق ١٥٢.
- (٦٠) نفس المصدر: ١٥٣.
- (٦١) الموزعي، المصدر السابق: ١٦١.
- (٦٢) (الآغا: مصطلح من اصل فارسي وتعني السيد، وقد استعمل لدلالات كثيرة منهاها كانت تطلق على الضباط الاميين في الدولة العثمانية) د. صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م: ١٥-١٦)
- (٦٣) الموزعي، المصدر السابق: ١٦٢.
- (٦٤) النود، محمود: محاولة توحيد اليمن: ١٦٧.
- (٦٥) ماكرو، اريك: اليمن والغرب (١٥٧١-١٩٦٢م): تعريب وتعليق: د/ العمري، حسين: دمشق، ١٩٧٨م: ٢٦-٢٧.
- (٦٦) Serjent. R. B. the portuese oF the southera Arabian, P: (78,79)
- (٦٧) براود: ك. خ: اليمن في اوائل القرن السابع عشر: المصدر السابق: ٧٤، ١١٩؛ النود: المصدر السابق: ١٦٧.
- (٦٨) د. المهجري، عبد الحكيم: المصدر السابق: ١٥٤.
- (٦٩) نفس المصدر السابق: ١٥٦.
- (٧٠) الموزعي، عبد الصمد بن إسماعيل: الإحسان: ١٦٤.
- (٧١) المقصود هنا سامع، وهو جبل يرتفع ٢٦٤٠ مترا عن سطح البحر، ويتعد عن مدينة تعز جنوبا بنحو ٤٠ كم، ويمتاز الجبل بالمنعة والشموخ، لذلك عجزت القوات العثمانية

خلال وجودها الاول في اليمن من السيطرة عليه. (المقحفي، ابراهيم: معجم البلدان والقبائل: ١/٧٦٢-٧٦٣).

(٧٢) نفس المصدر السابق: ١٦٣.

(٧٣) د/المجري، عبدالحكيم: المصدر السابق: ١٥٥.

(٧٤) الموزعي ، عبد الصمد: المصدر السابق: ١٦٧.

(٧٥) نفس المصدر: ١٦٩.

(٧٦) د.المجري، عبدالحكيم: ثورة الامام القاسم: ١٥٥.

(٧٧) الموزعي ، عبد الصمد بن إسماعيل: الإحسان: ١٦٩.

(٧٨) ضابط عثماني قدم ضمن القوات العسكرية العثمانية التي طلبها الوالي محمد باشا من الدولة العثمانية، لكبح تمرد الامير علي الشرجي (د/المجري، عبدالحكيم: المصدر السابق: ١٥٥).

(٧٩) نفس المصدر السابق: ١٦٤.

(٨٠) نفس المصدر: ١٦٩.

(٨١) نفس المصدر: ١٧١.

(٨٢) د.المجري، عبدالحكيم: المصدر السابق: ١٥٥.

(٨٣) الموزعي: نفس المصدر السابق: ١٧٤.

(٨٤) د.المجري، عبدالحكيم: المصدر السابق: ١٥٥.

(٨٥) الأعلام: مركز اداري من مديرية المواسط واعمال محافظة تعز (المقحفي، ابراهيم: معجم البلدان والقبائل: ١/ ٨٦).

(٨٦) الموزعي: المصدر السابق: ١٧٤-١٧٨.

(٨٧) النود، محمود: محاولة توحيد اليمن: ١٦٨.

(٨٨) الموزعي: المصدر السابق: ١٨٧-٢٠٠.

- (٨٩) د. المهجري، عبدالحكيم: المصدر السابق: ١٥٥.
- (٩٠) الشرفي، أحمد بن محمد: اللآلئ المضئية، دار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء: ٣/ ق ٣٣٦.
- (٩١) نفس المصدر السابق: ٣/ ق ٣٣٧.
- (٩٢) لم يكن استخدام النساء كرهائن سياسة جديدة على الأتراك فقد وجدنا سابقة لاستخدامهن كرهائن. وذلك عندما قدم عامر بن عبد الوهاب إلى مدينة زبيد وأطلق أبناء أحمد بن أبي العنث و كانوا عنده رهائن ولكن لم يطلقهم إلا بعد حلف الأيمان، وأخذ النساء والأولاد رهائن لديه ليأمن غدرهم (ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي: الفضل المزيدي على بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد، تحقيق الدكتور يوسف شلح: مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، ١٩٨٣م، ص ١٧١).
- (٩٣) الشرفي، أحمد بن محمد: اللآلئ المضئية: ٣/ ق ٣٣٨.
- (٩٤) ابن القاسم، يحيى بن الحسين: غاية الاماني: ٢/ ٢٨٦؛ د. المهجري عبدالحكيم: المصدر السابق: ١٥٥.
- (٩٥) الموزعي: المصدر السابق: ٢٠٠-٢٠٥.
- (٩٦) د. المهجري، عبدالحكيم: المصدر السابق: ١٥٦.
- (٩٧) الموزعي، عبد الصمد بن إسماعيل: الإحسان: ٢٠١.
- (٩٨) نفس المصدر: ٢٠٢.
- (٩٩) نفس المصدر: ٢١٥-٢١٦.
- (١٠٠) كان والياً على اليمن في الفترة من (١٠٣٠ - ١٠٣٣هـ / ١٦١٦ - ١٦٢١م) د. العمري، حسين: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر: ٢٠.
- (١٠١) إحدى مقرات الجيش العثماني .
- (١٠٢) الموزعي: المصدر السابق: ٢١٨.

قائمة المصادر المراجع

أولاً: الكتب العربية والمترجمة:

- (١) الأكوغ، إسماعيل بن علي: هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج٢، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٥م.
- (٢) ابن القاسم، يحيى بن الحسين: غاية الاماني في اخبار القطر اليماني: تحقيق د. سعيد عاشور، ج٢، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.
- (٣) ابن لطف الله، عيسى: روح الروح فيما حدث بعد المئة التاسعة من الفتن والفتوح: (مخطوط): وزارة الاعلام والثقافة، صنعاء. ١٩٨١م.
- (٤) أبو زهرة، محمد، دائرة المعارف الاسلامية: الجزء الثاني، الطبعة الثامنة، دار الشعب.
- (٥) أمين، أحمد: ضحى الإسلام: القاهرة، ١٩٨١م.
- (٦) بافقيه، محمد عبدالقادر: تاريخ اليمن القديم: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.
- (٧) براود: ك. خ: اليمن في أوائل القرن السابع عشر (مقتطفات من الوثائق الهولندية المتعلقة بالتاريخ الانتصاري لجنوب الجزيرة العربية ١٦١٣ - ١٦٣٠م، شركة أ. ي، بريل، ليدن، ١٩٨٨م.
- (٨) الجابري، محمد: موسوعة دول العالم "حقائق وارقام" القاهرة: مجموعة النيل العربية.
- (٩) رأفت الشيخ: العرب في التاريخ المعاصر : دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- (١٠) د. رافق، عبد الكريم: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني الى حملة نابليون بونابرت (١٥١٦-١٧٩٨): الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٦٧م.
- (١١) الحجري، محمد بن أحمد: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوغ: مج١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٤م.
- (١٢) ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي: الفضل المزيدي على بغية المستفيد في اخبار مدينة زيد،

- تحقيق الدكتور يوسف شلحد: مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، ١٩٨٣م.
- (١٣) راشد، أحمد: تاريخ اليمن وصنعاء: ترجمة حمدي إبراهيم عبد الرحمن، العراق، ١٢٩٢هـ.
- (١٤) د. سالم، سيد مصطفى: المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول (١٥٣٨-١٦٣٥)، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧١م.
- (١٥) " " " : الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨-١٦٣٥)، الطبعة الثالثة، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، ١٩٧٨م.
- (١٦) " " " : تكوين اليمن الحديث - اليمن والامام يحيى - (١٩٠٤-١٩٤٨): الطبعة الرابعة، دار الامين للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣م.
- (١٧) السالمي، محمود: محاولة توحيد اليمن بعد خروج العثمانيين الأول (١٠٤٥-١٠٩٧هـ/١٦٣٥-١٦٨٥). (الدولة القاسمية)، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠م.
- (١٨) الشرفي، أحمد بن محمد: اللآلئ المضيئة: دار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء.
- (١٩) د. صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية: مكتبة فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- العرشي، حسين بن أحمد: بلوغ المرام في شرح مسك الختام: مطبعة البرتيري، القاهرة، ١٩٣٩م.
- (٢٠) د. العمري، حسين بن عبد الله: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر (١٥١٦-١٩١٨م): ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩م.
- (٢١) العمري، حسين بن عبد الله: مائة عام من تاريخ اليمن الحديث : دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.
- (٢٢) ماكرو، اريك: اليمن والغرب (١٥٧١-١٩٦٢م): تعريب وتعليق: د/العمري، حسين: دمشق، ١٩٧٨م.
- (٢٣) المقحفي، إبراهيم أحمد: معجم البلدان والقبائل اليمنية: مجلدين، دار الكلمة للطباعة

والنشر، صنعاء، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

(٢٤) الموزعي، عبد الصمد بن إسماعيل: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان: تحقيق عبد الله المحبشي، منشورات المدينة، صنعاء.

(٢٥) النود، وليد عبد الحميد: قيام الدولة الإمامية في اليمن (قيام الدولة الإمامية القاسمية ١٠٠٦هـ/١٠٥٤هـ/١٥٩٧-١٦٤٤): رسالة ماجستير لم تنشر، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠١م.

(٢٦) د. نورس، علاء: دراسات تاريخية عثمانية: دار الفكر المعاصر، صنعاء ١٩٩٨م.

(٢٧) د. المهجري، عبد الحكيم: ثورة الإمام القاسم بن محمد ضد الوجود العثماني الأول في اليمن: رسالة دكتوراه - لم تنشر - كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠٠٤م.

ثانياً: الوثائق العثمانية:

١- سالنامة اليمن: لسنة ١٣١٤هـ، المركز الوطني للوثائق، صنعاء.

ثالثاً: الكتب الاجنبية.

- 1- ROBERT.L.Playfair: A history of Arabia Felix, or yemen Amestram philopers.st , Leonatds. 1970.
- 2- SERGEANT, R. B. LEWCOCK . R: SAN A'A AN Arabain Islamec City, WORLD OF ISLamic Festival Trust , London , 1983.
- 3- SERGEANT, R. B: The Poruquese OF South Ara bian Coas, Beirut, Librairie du Liban, 1974.